مطل الحركات في كتاب الخصائص لابن جني(ت392هـ) (دراسة وصفية تحليلية)

تهاني علي الضاوي الشكري.
محاضر مساعد/النحو والصرف/ كلية اللغة العربية/ الجامعة الأسمرية
t.alshukri@asmarya.edu.ly

المقدمة :

الحمد لله الذي أنزل الكتاب بلسان عربي مبين على أفصح العرب وخير الخلق أجمعين، سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد توالت الجهود التي تُعْنَى باللغة العربية، وقد ألمت الدراسات القديمة بجلِّ جوانب اللغة ومستوياتها، الصوتية، والصرفية، والنحوية، والدلالية، ومن بين العرب القدماء الذين اهتموا بدراسة الأصوات ابن جني(ت392هـ)، فهو يعدُّ أول من خصص للدراسة الصوتية مؤلفًا مستقلًّا سماه بسر صناعة الإعراب، بعد أن كانت القضايا الصوتية تدرس مختلطة بغيرها، كما يعد أول من أطلق عليها اسم علم الأصوات.

ويطيب لي أن أتناول في هذا البحث (باب مطل الحركات عند ابن جني(ت392هـ) في كتابه الخصائص)، وهي ظاهرة أظهر ما تكون في الشعر، بيد أنها موجودة أيضا في القرآن وفي قراءاته، وفي الحديث، وفي كلام العرب، وفي العاميات أيضا.

ولهذه الظاهرة صلة وثيقة بعلم العروض، والنحو، والصرف، والصوت، وتبرز بأن تكون الحركة في كلمة ما- في أصل اللغة المتعارف عليها- حركة قصيرة، فترد في نص ما حركة طويلة، أو بتعبير القدماء حرف مد، فتغدو الفتحة ألفًا، والضمة واوًا، والكسرة ياءً.

وقد صدرت برأي ابن جني (ت392ه) في هذا الباب؛ لأنه هو محط الدراسة، ثم أردفت برأي غيره من العلماء الذين تناولوا هذه الظاهرة، مراعية الترتيب الزمني.

وقد نهجت في هذه الدراسة منهجًا وصفيًّا تحليليًّا يصف الظاهرة، ويحلل ورودها في نماذج عديدة من المنظوم والمنثور. وجعلت **الخطة** على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف مطل الحركات:

المطلب الأول: تعريف المطل (الإشباع) لغة، واصطلاحًا

المطلب الثاني: تعريف الحركة والحرف لغة، واصطلاحًا

المبحث الثاني: مسمياته وحروفه:

المطلب الأول: مسميات الإشباع

المطلب الثاني: حروف الإشباع

المبحث الثالث: إشباع الحركات بين القدماء والمحدثين:

المطلب الأول: إشباع الحركات عند القدماء

المطلب الثاني: إشباع الحركات عند المحدثين

المبحث الرابع: مواضع الإشباع عند ابن جني وأسبابه

المطلب الأول: مواضع الإشباع عند ابن جني

المطلب الثاني: أسباب الإشباع

وكان الختام بخاتمة، تلتها قائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: تعريف مطل الحركات:

المطلب الأول: تعريف المطل (الإشباع) لغة واصطلاحًا

تعريفه **لغة:**

المَطْلُ: التسويف والمُدافَعة بالعِدَة والدَّيْن ولِيَّانِه، مَطَلَه حَقَّه وبه يَمْطُلُه مَطْلاً وامْتَطَلَه وماطَلَه به مُماطَلَةً ومِطالاً، ورجل مَطُول ومَطَّال، وفي الحديث: مَطْلُ الغنيّ ظُلْمٌ، والمَطْلُ: المَدُّ، مَطَل الحبلَ وغيره يَمْطُله مَطْلاً فامْطَلَّ[1]. أما الإشباع لغة: فالتوفير، فكلُّ شيء تُوَفِّرُه فقد أَشْبَعْتَه، حتى الكلام يُشْبَعُ فَتُوَفَّرُ حروفُه[2].

تعريفه اصطلاحًا:

عرف ابن جني(ت392هـ) مطل الحركات تعريفًا إجرائيًّا بقوله:"باب في مطل الحركات: وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو"[3].

فالمطل عند ابن جني(ت392هـ) يساوي النبر الإيقاعي عند المحدثين، قال عبد القاهر عبد الجليل: "هو زيادة قوة الارتكاز بالإشباع أو التضعيف، إذا ما علمنا أنَّ الألف ضعف الفتحة، والياء ضعف الكسرة، والواو ضعف الضمة. والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع؛ لتحقيق غرض قصدي"[4].

وهذا الفارابي(ت339هـ) قد ربط النّبر القائم على الإشباع بالنّغمة، ويظهر ذلك في قوله: "إنّ النّغمة الّتي

(1) ينظر: لسان العرب4225/6. مادة (مطل).

(2) ينظر: نفسه2187/4. مادة (شبع)

(3) الخصائص123/3.

(4) ينظر: الأصوات اللغوية: عبد القادر عبد الجليل ص241.

يمتدّ معها أحد هذه الثّلاثة لهي أنقى في السّمع، ليس ذلك لغيرها"[5].

وهو ما يساوي مصطلح النبر عند ابن سينا(ت428هـ) أيضًا، حيث قال: "وللنبرات حكم في القول يجعله قريبا من الموزون، وكذلك فإن القول المنثور أيضا قد يجعل بالمدات موزونا"[6].

وثمة ارتباط بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للمطل، فكلاهما يدل على المد والتوفير.

المطلب الثاني: تعريف الحركة والحرف لغة، واصطلاحًا

قبل الخوض في العلاقة بين حروف المد والحركات تجدر الإشارة إلى مفهوم كل من الحركة والحرف؛ ليعلم قدر التقارب والتباين بينهما.

الحَرَكة لغة: ضد السكون، يقال : حَرُك يحْرُك حَرَكةً وحَرْكاً، وحَرَّكه فتحرك[7] ، أما الحرف لغة فهو: الطرف، فحرف كل شيء طرفه، وجانبه، وحده، وشفيره، وناحيته. والجمع: أحرف، وحروف، وحرفة . وجاء في التنزيل: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ} [الحج: 11] [8].

تعريفهما اصطلاحًا:

الحركات عند ابن جني(ت392هـ):

"أبعاض حروف المد واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة، والكسرة، والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمة الواو الصغيرة"[9].

وكلام ابن جني (ت392هـ) هذا يكشف لنا أن حروف العلة الثلاثة هي مثل الحركات القصيرة، وأن الفرق بين الحركات الطويلة والحركات القصيرة هو فرق في الزمن.

وهذا ما أكده ابن سينا(ت428هـ) فقال: "ولكنني أعلم يقينا أن الألف الممدودة المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة، وأن الفتحة تقع في أصغر الأزمنة التي يصح الانتقال فيها من حرف إلى حرف، وكذلك نسبة الواو المصوتة إلى الضمة، والياء المصوتة إلى الكسرة"[10].

(5) كتاب الموسيقى: ص1120.

(6) المنطق255/2.

(7) ينظر: لسان العرب844/2. مادة (حرك).

(8) ينظر: لسان العرب42/9. مادة (حرف)

(9) سر صناعة الإعراب33/1.

(10) أسباب حدوث الحرف ص16.

قال ابن يعيش(ت643هـ): " وإنما رأى النحويون صوتا أعظم من صوت، فسموا العظيم حرفا، والضعيف حركة، وإن كانا في الحقيقة شيئا واحدا"[11].

وهو ما يوافق رأي المحدثين إذ وجدوا أن الفرق بين الحركات القصيرة والطويلة هو فرق في الكمية، لا في النوعية، أي أن وضع اللسان واحد في كليهما، غير أن الزمن يختلف في كل صوت منهما، فإذا قصر الزمن كان الصوت قصيرا، وإذا طال الزمن كان الصوت طويلا[12].

فقد أدرك أنه لا فارق بين الحركة والحرف إلا من حيث الكم الزمني في النطق، فهما متماثلان عددا، ومخرجا، وصفات، وخصائص، وهذا ما أثبته علم الصوتيات الحديث على مربع (دانيال جونز) . وعليه فقد قسمت الحركات في علم الصوتيات الحديث إلى قسمين: حركات قصيرة : تقابل الفتحة والضمة والكسرة عند ابن جني(ت392هـ)، وحركات طويلة: تقابل حروف المد عند ابن جني(ت392هـ)[13].

يقول الدكتور كمال بشر كلاما قد سبق إليه ابن جني(ت392هـ): "وقد درجنا في العصر الحديث على إطلاق الحركات على الطائفتين معا؛ لاشتراكهما في أهم الخواص التي تميزها في الأصوات الصامتة، ولكننا مع ذلك لم نغفل السمة الفارقة بينهما، المتمثلة في الكم فقط، وهي سمة القصر والطول في النطق، فكانت التسمية الجديدة: الحركات القصار، والحركات الطوال"[14].

أما **الحروف اصطلاحا** فقد عرفها ابن جني(ت392هـ) بقوله:

"توابع للحركات ومتنشئة عنها، وأن الحركات أوائل لها، وأجزاء منها، وأن الألف فتحة مشبعة، والياء كسرة مشبعة، والواو ضمة مشبعة، يؤكد ذلك عندك أيضا أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت، فتشبع الفتح، فيتولد من بعدها الألف، وتشبع الكسرة، فتتولد من بعدها ياء، وتشبع الضمة، فتتولد من بعدها واو"[15]. أما الحروف الباقية إضافة إلى الواو والياء إن لم يسبقا بحركة من جنسها فهي صامتة.

قال ابن سينا(ت428 هـ) في أسباب حدوث الحرف: "وأما الألف المصوتة وأختها الفتحة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء سلسا غير مزاحم، والواو المصوتة وأختها الضمة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج، وميل به سلس إلى فوق، وأن الياء المصوتة وأختها الكسرة فأظن أن مخرجها مع إطلاق الهواء

(11) شرح المفصل69/9.

(12) ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص96.

(13) ينظر: علم اللغة العام ص140.

(14) ينظر: علم الأصوات ص445.

(15) سر صناعة الإعراب38/1.

مع أدنى تضييق للمخرج، وميل به سلس إلى أسفل"[16].

قال ابن يعيش(ت643هـ): "الحرف إنما هو صوت مقروع في مخرج معلوم"[17].

المبحث الثاني: مسمياته وحروفه

المطلب الأول: مسميات الإشباع

من تسميات العلماء لهذه الظاهرة المد عند سيبويه(ت 180هـ)[18]، وسماه الفراء(ت207هـ) صلة، وسماه قدامة بن جعفر (ت337هـ) التذنيب[19]، وهو الإشباع أو مطل الحركات عند ابن جني(ت392هـ)[20]، والبسط عند ابن فارس (ت395هـ)[21]. وسماه الزمخشري(ت 538هـ) فاصلة(22)، وسماه الأنباري(ت577هـ) إشباعا[23]، ومنهم من سماه وصلا(24).

المطلب الثاني: حروف الإشباع

حروف الإشباع هي حروف المد؛ لأن الألف لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا، والواو لا يكون ما قبلها إلا مضموما، والياء لا يكون ما قبلها إلا مكسورا.

المبحث الثالث: إشباع الحركات بين القدماء والمحدثين

المطلب الأول: إشباع الحركات عند القدماء

يظهر مصطلح الإشباع عندهم بأنها تغيير يطرأ على الكلمات التي ألفوها، فهي إما أن تكون قد مطلت فيها الحركة القصيرة، أو زيدت، أو أطيل في نطقها حتى تولد منها صوت من جنسها، أطول منها زمنا، وأوضح في

(16) ص16.

(17) شرح المفصل124/10.

(18) ينظر: الكتاب28/1.

(19) ينظر: نقد الشعر ص250.

(20) ينظر: الخصائص121/3.

(21) ينظر: الصاحبي ص227.

(22) ينظر: الكشاف6/ 358.

(23) ينظر: الإنصاف27/1.

(24) ينظر: الشافي في علم القوافي ص46.

النطق والسمع.

والحركات التي أطيلت عندهم هي الحركات الشبيهة في أطوالها بالحركات الإعرابية التي تظهر على كلمة مثل يذهب، ويذهب، وعلى الكوخ فهذه حركات قصيرة، تختلف في طولها ووضوحها عن الألف في سالم، أو الواو في سوق، أو الياء في ريح، على الرغم مما بينها من تجانس.

والإشباع المقصود عندهم ضرب من الأداء الذي تطال فيه الحركات، أو تزاد، أي: أنها عملية توليد حرف بعد هذه الحركات يتناسب معها[25].

ويمكن تقسيم آراء القدماء حول هذه الظاهرة إلى ثلاثة أقسام:

أ- آراء تتبنى مطل الحركة نفسها:

تعرض قدامة بن جعفر (ت337) لظاهرة الإشباع وأطلق عليها اسم التذنيب، وعرفها بأنها: "أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض، فيضطر إلى الزيادة فيها"[26]. فقد عدها عيبا من عيوب ائتلاف اللفظ والوزن، فهي ضرورة وعيب، فهو يجعل استقامة الوزن الدافع إلى هذا النوع من المخالفة اللغوية في الشعر[27].

وقد تبنى رأيه ابن سنان الخفاجي(ت 466هـ)[28]، وابن الأنباري (ت577 هـ) وقصره على الضرورة الشعرية فقال: "إنما يكون في ضرورة الشعر... وأما في حال اختيار الكلام فلا يجوز بالإجماع"[29].

فهم يتفقون على أن الحركة قد طالت فحسب.

ب- آراء تتبنى زيادة حرف بعد الحركة من جنسها:

وممن فرق بين الحركة القصيرة والطويلة الأزهري (ت370 هـ)، ورأى أنه زيادة حرف بعد الحركة من جنسها، أي أن الحركة الأصلية بقيت على ما هي عليه، ولكنها أتبعت بحركة طويلة من جنس الحركة الأصلية. فمثلا ألف الصلة عنده هي ألف توصل بها فتحة القافية، وفتحة ها المؤنث، قال تعالى: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} [الأحزاب: 10] الألف صلة لفتحة النون[30].

(25) ينظر: الإشباع ممارسة وتعليلا ص15.

(26) نقد الشعر ص250.

(27) ينظر: الإشباع ممارسة وتعليلا ص16، 17.

(28) ينظر: سر الفصاحة ص87.

(29) ينظر: الإنصاف31/1.

(30) ينظر: تهذيب الأزهري663/15.

وأما ألف المد فكقول العرب للكلكل الكلكال ، وللخاتم خاتام، وللدانق داناق.

ووافقه ابن فارس(ت395هـ)، عند حديثه عن اختلاف اللغات، وجعل منه الاختلاف في الزيادة، مثل: أنظر وأنظور، وقد أنشد الفراء(ت207هـ):

وإنني حيث ما يثني الهوى بصري من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور[31].

وممن يتبنى هذا الرأي ابن مالك(ت672هـ) في كتابه شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تكلم فيه عن لغة معروفة في إشباع الحركات، ويعني به: بقاء هذه الحركات، وتوليد الأحرف الثلاثة بعدها[32].

ج- آراء مزجت بين المذهبين

يؤيدون القول بإشباع الحركة نفسها مرة، ويؤيدون القول بإضافة حرف بعدها وهو الألف، أو الواو، أو الياء مرة أخرى، والغريب أن بعضهم يقر أن إشباعا قد جرى للحركة نفسها، بيد أنه يصرح بأن موقع الألف، أو الواو، أو الياء، يكون بعد هذه الحركة، وهذا غريب. فإذا كانت الحركات الطويلة (الألف أو الواو أو الياء) أصواتا ناتجة عن مطل الحركات القصيرة، فإن هذه الأحرف (الحركات الطويلة) لن تكون بعد الحركات القصيرة، بل ستكون بدائل عنها، ولكنها بدائل أطول وأوضح[33].

وأول هؤلاء العلماء ابن جني(ت392) الذي يقول في وصف هذه الظاهرة: "إن العرب إذا فعلتها أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها، فتنشيء بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو، فالألف المنشأة عن إشباع الفتحة...". [34].

وظاهر قوله: "أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها" وقوله: "فالألف المنشأة عن إشباع الفتحة" يوحي أن الحركة نفسها قد مطلت. ولكنه في قوله: "فتنشيء بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو". يوجه الكلام باتجاه آخر هو جعل الحركات الطويلة (الأحرف الثلاثة) ليست مطلا للحركات، وإنما أحرف زيدت بعدها زيادة[35].

(31) ينظر: الصاحبي ص50.

(32) ينظر: ص74.

(33) ينظر: الإشباع ممارسة وتعليلا ص21.

(34) ينظر: الخصائص 121/3.

(35) ينظر: الإشباع ممارسة وتعليلا ص22.

وممن وافقه سلمة العوتبي[36]، والمظفر العلوي[37] .

وممن أنكر الإشباع:

أبو جعفر النحاس (ت337هـ) الذي استبعد ظاهرة الإشباع في العربية، قال القرطبي: " قال النحاس(ت337هـ): وهذا من أقبح الغلط أن يحمل كتاب الله عز وجل على الشذوذ من الشعر"[38].

وكذلك مكي ابن أبي طالب(ت437هـ)[39]، وأبو البقاء العكبري (ت616هـ) الذي يرى أن حروف المد ليست ناشئة عن إشباع الحركات لسببين:

1- أن الحركة ليس بعض الحرف، لأن حروف المد ساكنة، ومحال اجتماع ساكن مع حركات.

2- أنك إذا أشبعت الحركة نشأ منها حرف تام، وتبقى الحركة قبله بكمالها، فلو كان الحرف حركتين لم تبق الحركة بعض الحرف[40].

والحق أن العرب كانت تستعمل الإشباع كثيرا في كلامها، حيث كانت لهم وفرة في الكلام، ولذا نزل القرآن بما هو مألوف لديهم، كما في قوله تعالى: {فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا} [الأحزاب: 67]، وقوله: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} [الأحزاب: 10] فالألف للإشباع، وهو صلة لفتحة اللام والنون (41).

المطلب الثاني: إشباع الحركات عند المحدثين

أما الدراسات الحديثة فقد وصفت هذه الظاهرة بأنها مطل، أو إشباع، أو إطالة للحركة القصيرة نفسها، وما من دراسة منها أشارت إلى إضافة الحروف (الحركات الطويلة) بعد الحركة القصيرة[42].

ويرى إبراهيم أنيس أن القدماء ضلوا الطريق حين ظنوا أن هناك حركات قصيرة قبل حروف المد[43].

المبحث الرابع: مواضع الإشباع عند ابن جني وأسبابه

(36) ينظر: الإبانة204/1.

(37) ينظر: النضرة ص276.

(38) تفسير القرطبي288/11. ولم أعثر على قوله في كتابه إعراب القرآن.

(39) ينظر: الرعاية ص106.

(40) ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب 63/1، 64.

(41) ينظر: ظاهرة الإشباع اللغوي ص345.

(42) ينظر: الإشباع ممارسة وتعليلا ص25.

(43) ينظر: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس ص39.

المطلب الأول: مواضع الإشباع عند ابن جني:

جعل ابن جني(ت392هـ) مواضع المطل ثلاثة :

1– يقول: "وكذلك الحركات عند التذكر يمطلن حتى يفين حروفا، فإذا صرنها جرين مجرى الحروف المبتدأة توامَّ، فيمطلن أيضا حينئذ، كما تمطل الحروف، وذلك عند التذكر مع الفتحة في (قمت): قمتا، أي (قمت يوم الجمعة)، ونحو ذلك، ومع الكسرة: (أنتي)، أي (أنت عاقلة)، ونحو ذلك، ومع الضمة: (قمتو)، في (قمتُ إلى زيد)، ونحو ذلك "[44] .

2– ويقول:"فإن قيل: أفتنصّ في هذه المدة على حرف معين : الألف أو الياء أو الواو ؟ قيل: لم تظهر في شيء من الإنكار على صورة مخصوصة فيقطع بها عليها دون أختيها، وإنما تأتي تابعة لما قبلها، ألا تراك تقول في (قام عمر): أعمروه ! وفي (رأيت أحمد):أأحمداه ! وفي (مررت بالرجل): آلرجليه! وليست كذلك مدة الندبة؛ لأن تلك ألف لا محالة، وليست مدة مجهولة مدبّرة بما قبله"[45].

3–مطل الحركة عند الشعراء عند الحاجة إلى إقامة الوزن[46]، فذكر ابن جني(392هـ):

"أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت، فتشبع الفتح، فيتولد من بعدها الألف، وتشبع الكسرة، فتتولد من بعدها ياء، وتشبع الضمة، فتتولد من بعدها واو"[47].

وهذه ظاهرة لغوية صوتية مرتبطة بنفسية المتكلمين فقد وضّح ابن جني(ت392هـ) أن ذلك المطل يكون عند التذكر والإنكار، وإن كان الوجه الثالث لفظيا بحتا.

يقول الدكتور عبدالعزيز علام:(إن التغييرات اللغوية، والظواهر الصوتية، يرجع الكثير منها إلى أسباب سيكولوجية، كظاهرة الحذف، والإدغام، والتقصير، والتطويل أو (المطل)، والاختلاس، والقلب، والإبدال) [48].

وحديث ابن جني(ت392هـ) عن مطل الحركة في موضعي التذكر والإنكار يعكس حسا لغويا دقيقا تمتع به هذا اللغوي الفذ، فضرب بسهمه في هذا الميدان كذلك، وخرّج الظاهرة تخريجا صوتيا نفسيا، وفطن لمواضعها، وربطها بحال المتكلم.

---

(44) الخصائص131/3.

(45) نفسه156/3.

(46) ينظر: علم اللغة العام ص135.

(47) سر صناعة الإعراب38/1.

(48) ينظر: علم اللغة العام ص135.

المطلب الثاني: أسباب الإشباع مع تطبيقات عليه[49]:

أولا: في المنثور:

بالرغم من أن ابن جني(ت392هـ) نص على أن الإشباع مما تختص به ضرورة الشعر، وقلما يجيء في النثر(50) إلا أنه راح يأتي بشواهد على الإشباع مما ورد من كلام العرب **المنثور**:

1- في القرآن وقراءاته:

من إشباع الفتحة:

قال تعالى: {وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً} [يوسف: 31] في قراءة من قرأ "متكاء"، قال ابن جني(ت392هـ): "وأما "مُتَّكَاءً" فعلي إشباع فتحة الكاف من "متَّكأ""[51].

ومن إشباع الضمة:

في قوله تعالى: {اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ} [البقرة: 16] قال ابن جني(ت392هـ): "ولو استذكرت مع الهمز لقلت: اشترءوا، فالواو بعد الهمزة واو مَطْل الضمة".[52]

وقال معلقا على قراءة الحسن: { سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [الأعراف: 145] ظاهر هذه القراءة مردود؛ لأنه سأفعلكم من رأيت، وأصله سأرئيكم، ثم خففت الهمزة بحذفها، وإلقاء حركتها على الراء، فصارت سأريكم، إلا أن له وجها ما، وهو أن يكون أراد سأريكم، ثم أشبع ضمة الهمزة، فأنشأ واوا، فصارت سأوريكم.

ويرى ابن جني(ت392هـ) أن الإشباع في هذه القراءة جيء به؛ لأن الموضع هنا موضع وعيد وإغلاظ، فمكن الصوت فيه، وزاد إشباعه واعتماده[53].

ومن إشباع الكسرة:

الياء المشبعة، هي المتولدة عن الكسرة، فمن ورودها في القرآن قراءة: {أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ} [البقرة: 33] قال ابن جني(ت392هـ): "قد يخرج "أنبيهُم" على إشباع الكسرة"[54].

والذي يظهر أن من أسباب الإشباع إقامة الفاصلة القرآنية، كما في قوله تعالى: {لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى} [طه:

(49) ينظر: الإشباع ممارسة وتعليلا ص33- 134.

(50) المحتسب 340/1.

(51) نفسه340/1.

(52) نفسه 55/1.

(53) ينظر: المحتسب258/1.

(54) نفسه370/1.

.[77

قال العكبري(ت616هـ): "على قراءة الجزم هو حال، أي وأنت لا تخشى، أو على تقدير غير خاش، وقيل الألف في تقدير الجزم، شبهت بالحروف الصحاح، وقيل نشأت لإشباع الفتحة ليتوافق مع رؤوس الآي"(55).

"والفاصلة القرآنية عنصر أساسي من عناصر اللغة الإيقاعية، والقرآن الكريم يمتاز بحسن الإيقاع، فتأتي الفاصلة في ختام الآيات حاملة تمام المعنى، وتمام التوافق الصوتي في آن واحد"(56).

2- في الحديث

لم يأت ابن جني(392هـ)- فيما اطلعت عليه- بشواهد من الحديث النبوي عن ظاهرة الإشباع.

فمن إشباع الفتحة قوله- صلى الله عليه وسلم-: "من أكل من هذه الشجرة فلا يغشانا"(57) فالألف هنا للإشباع.

ومن إشباع الكسرة في قوله -صلى الله عليه وسلم: -"مروا أبا بكر فليصلي بالناس"(58). فالياء هنا للإشباع(59).

3- في القول العربي:

من **إشباع الفتحة** ما نقله ابن جني(ت392هـ) عن الأصمعي(ت216هـ): "يقال انباع الشجاع ينباع انبياعًا إذا انخرط بين الصفين ماضيًا. فهذا انفعل ينفعل انفعالًا، والألف فيه عين. وينبغي أن تكون عينه واوًا؛ لأنها أقرب معنى من الياء هنا. نعم، وقد يمكن عندي أن تكون هذه لغة تولدت. وذلك أنه لما سمع "ينباع" أشبه في اللفظ ينفعل، فجاءوا منه بماض ومصدر"[60].

وحكى الفرّاء(ت207هـ) عنهم: أكلت لحما شاةٍ، لحم شاة، فمطل الفتحة، فأنشأ عنها ألفا[61].

ومن **إشباع الكسرة** ومطلها ما جاء عنهم من الصياريف، والمطافيل، والجلاعيد. فأما ياء مطاليق ومطيليق

(55) إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن285/2.

(56) ينظر: مكانة الفواصل من الإعجاز ص9.

(57) أخرجه البخاري في كتاب الآذان.

(58) أخرجه البخاري في كتاب الآذان.

(59) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص74.

(60) الخصائص123/3.

(61) ينظر: نفسه125/3.

فعوض من النون المحذوفة وليست مطلا[62].

4- الإشباع في العاميات

هناك من اللهجات العامية ما يلتزم الإشباع بوصفه عادة لغوية أساسية، كما يشتهر عن أهل مدينة الخليل، وأهل نابلس، وبعض مدن فلسطين، فيقال في لهجة أهل الخليل عند الوقف: الولاد في الولد، والعناب في العنب، واللعاب في اللعب، ويذكر أحمد تيمور راجل في رجل، وبعديها في بعدها، وكورة في كرة[63].

ثانيا في المنظوم:

سعيا من ابن جني(ت392هـ) لتأكيد شرعية الظاهرة وتأصيلها في النصوص العربية عموما، راح يكشف عن ملامح الإشباع فيما استشهد به النحويون من كلام العرب المنظوم، وذكر من **الأسباب العروضية:**

أ-رغبة الشاعر في إقامة الوزن:

ذكر ابن جني (ت392هـ) من أسباب الإشباع إقامة الوزن فقال في ألف (ينباع) في قول الشاعر:

"ينباع من ذفرى غضوب جسرة

إنما هي إشباع للفتحة طلبًا لإقامة الوزن"[64].

يلاحظ في هذا البيت أن الشاعر أشبع الفتحة القصيرة في كلمة (ينبع) فأصبحت فتحة طويلة، ونتجت من ذلك كلمة (ينباع) وذلك لإقامة الوزن.

ب- رغبته في تحقيق الصورة الأصلية من التفعيلة:

قال ابن جني(ت392هـ): "ولكن اعلم أن البيت إذا تجاذبه أمران: زيغ الإعراب وقبح الزحاف فإن الجفاة الفصحاء لا يحفلون بقبح الزحاف إذا أدى إلى صحة الإعراب. كذلك قال أبو عثمان(ت249هـ) وهو كما ذكر. وإذا كان الأمر كذلك فلو قال في قوله:

ألم يأتيك والأنباء تنمي

(62) ينظر: نفسه125/3.

(63) ينظر: معجم تيمور: أحمد تيمور ص89، 90.

(64) الخصائص196/3.

لكان أقوى قياسًا على ما رتبه أبو عثمان(ت249هـ)؛ ألا ترى أن الجزء كان يصير منقوصا لأنه يرجع إلى مفاعيل: ألم يأت مفاعيل"(65).

ج- رغبته في تحقيق صورة من التفعيلة أقل زحافا

قال ابن جني(ت392هـ): "ومن مطل الفتحة عندنا قول الهذلي:

بينا تعنقه الكماة وروغه ** يوما أتيح له جريء سلفع

أي بين أوقات تعنقه، ثم أشبع الفتحة فأنشأ عنها ألفا"(66).

يلاحظ أن الشاعر أشبع فتحة بين، ولو جاءت على الأصل لنتجت صورة مزاحفة من مستعلن، وفي حال عدم الإشباع ستنتج صورة مزاحفة من متفاعلن ، ومتفاعلن جرى فيها زحاف واحد، في حين جرى في متفعلن زحافان هما الإضمار والطي(67).

2- إشباع الحركات لأسباب غير عروضية

1- ما يمكن تفسيره بعلة واحدة

أ- ما أشبع للتقفية بين الشطرين

قال النابغة الذبياني:

أمن آل مية رائح أو مغتدي عجلان ذا زاد وغير مزود

فقد أشبع الكسرة من (مغتدي) ليحصل التوافق بين الصدر والعجز، والأصل (مغتد) بتنوين العوض(68).

ب-ما أشبع لمناسبة القافية

قال أبو كبير الهذلي:

في رأس مشرفة القذال كأنها جمر بمسهكة تشب لمصطلي

(65) نفسه 334/3.

(66) نفسه123/3.

(67) ينظر: الإشباع ممارسة وتعليلا ص105.

(68) ينظر: نفسه ص117.

فقد أشبع كسرة اللام فأصبحت (لمصطلي) لمناسبة القافية(69).

2- ما يمكن تفسيره بأكثر من علة

أ- إقامة الوزن والتقفية بين الشطرين

قال ابن جني(ت392هـ): "وتزاد أيضًا لإطلاق حرف الروي إذا كانت القوافي مجرورة، نحو قوله:

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي ** بصبح، وما الإصباح فيك بأمثلي"(70)

فقد أشبع كسرة اللام فأصبحت (انجلي) ليتوافق مع لفظ قافية العجز(بأمثلي).

ب-ما أشبع لإقامة الوزن ومناسبة القافية:

واستشهد له ابن جني (ت392هـ) بقول الشاعر:

"وأنني حيث ما يشري الهوى بصري ** من حيث ما سلكوا أدنو فأنظور

"يشرى: يحرك ويقلق. ورواه لنا يسري"(71).

فقد أشبع الشاعر ضمة (أنظر) فأصبحت (أنظور)؛ لإقامة الوزن والقافية لتنسجم قافيتها مع (صورُ) في البيت السابق.

(69) ينظر: نفسه ص120.

(70) سر صناعة الإعراب398/2.

(71) الخصائص126/3.

الخاتمة:

قد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أوجزها فيما يأتي:

1- أن كتاب الخصائص تضمن مادة صوتية غنية.

2- أن ابن جني نهض بأعباء الصوت اللغوي بما يصح أن نطلق عليه اسم الفكر الصوتي، إذ تجاوز مرحلة البناء والتأسيس إلى مرحلة التأصيل والنظرية، مما جعله من المؤصلين لعلم الأصوات.

3- أن ثمة ارتباطا بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للمطل، فكلاهما بمعنى المد والتوفير.

4- عرض ابن جني للإشباع الصوتي وأصل له في كلام العرب من المنظوم والمنثور، وأظهر أن الإشباع ليس إلا مطلا للحركات القصيرة لتكون حركات طويلة.

5- أبان ابن جني مكانة الحركات وأنها ضمن المنظومة الصوتية ومتممة لها، وليست مجرد أصوات عارضة.

6- أنه لا فرق بين الحركة والحرف إلا من حيث الكم الزمني في النطق، فهما متماثلان عددا، ومخرجا، وصفات، وخصائص، وهذا ما أكده علم الصوتيات الحديث بالتجارب المعملية.

7- اختلف العلماء حول مفهوم هذه الظاهرة هل الحركة قد طالت فحسب، أو أنها بقيت وتولدت حروف المد بعدها؟ وقد مزج ابن جني بين الرأيين.

8- أن الدراسات الحديثة أشارت إلى أن المطل يكون للحركة نفسها.

9- أن من أسباب المطل في القرآن الفاصلة القرآنية، والإيقاع، والمعاني الدلالية.

10- أن المطل في اللهجات لإبرازه في السمع؛ لتحقيق غرض قصدي.

11- أن لهذه الظاهرة صلة وثيقة بعلم العروض، والنحو، والصرف، والصوت.

12- أن هناك من أنكر هذه الظاهرة كأبي جعفر النحاس، ومكي ابن أبي طالب.

13- أن مواضع المطل عند ابن جني ثلاثة: عند التذكر، والإنكار، ولإقامة الوزن.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولا: الكتب المصنفة:

1- الإبانة في اللغة العربية: سلمة بن مسلم العوتبي، المتوفى ق 4هـ، تحقيق: عبد الكريم خليفة وآخرين، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، 1999م.
2- أسباب حدوث الحروف: أبو علي الحسين بن عبد الله، بن سينا، المتوفى سنة428هـ، تحقيق: محمد حسان الطيان، يحيى علم، د.ط، د.ت.
3- الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، د.ت.
4- الأصوات اللغوية: عبد القادر عبد الجليل، د.ط، د.ت.
5- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، سنة الوفاة 616هـ، تحقيق: إبراهيم عطوه عوض، الناشر المكتبة العلمية- لاهور، د.ت.
6- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، الطبعة: الأولى، 1424هـ- 2003م.
7- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.
8- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.
9- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة، د.ت.
10- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة: أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي، المتوفى سنة 437هـ، تحقيق: أبو عاصم حسن بن عباس قطب، د.ط، د.ت.
11- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة: الأولي 1421هـ- 2000م.
12- سر الفصاحة: أبو عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي المتوفى سنة 466هـ، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، 1953م.

13- الشافي في علم القوافي: ابن القطاع الصقلي، تحقيق: صالح بن حسين العابد، دار كنوز إشبيليا للنشر، د.ت.
14- شرح المفصل للزمخشري: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع (المتوفى: 643هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1422 هـ - 2001 م.
15- شَوَاهِد التَّوضيح وَالتَّصحيح لمشكلات الجامع الصَّحيح: المؤلف: محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (المتوفى: 672هـ)، المحقق: الدكتور طَه مُحسِن، الناشر: مكتبة ابن تيمية، الطبعة: الأولى، 1405 هـ.
16- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي، تحقيق: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت- لبنان، د.ت.
17- علم الأصوات: كمال بشر، دار غريب، مصر، 2000م.
18- علم اللغة العام: عبده العزيز علام، مكتبة المتنبي، د.ت.
19- الكتاب: عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
20- كتاب الموسيقى: أبو نصر محمد الفارابي، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، مراجعة: محمد أحمد حنفي، دار الكتاب العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.
21- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ) دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ.
22- اللباب في علل البناء والإعراب: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي محب الدين (المتوفى: 616هـ)، المحقق: د. عبد الإله النبهان، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة: الأولى، 1416هـ 1995م.
23- لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ): دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414 هـ.
24- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، د.ط، 1420هـ- 1999م.

25– المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي: رمضان عبد التواب الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة: الثالثة، 1417هـ – 1997م.
26– معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية: أحمد تيمور، الهيئة العامة للتأليف والنشر، 1971هـ.
27– مكانة الفواصل من الإعجاز: عبد المتجلي محمد رجاء حنفي، د.ط، د.ت.
28– نضرة الإغريض في نصرة القريض: المظفر بن الفضل العلوي المتوفى سنة 656 هـ، تحقيق: نهى عارف الحسن، دار صادر بيروت، 1995م.
29– نقد الشعر: قدامة بن جعفر المتوفى سنة 337هـ، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، مصر، 1963م.

ثانيا: البحوث العلمية:

30– الإشباع ممارسة وتعليلا: أفنان عبد الفتاح النجار، إشراف: إبراهيم خليل، الجامعة الأردنية، 2001م.
31– حركات اللغة العربية بين القدماء والمحدثين: محمود محمد الحربيات، مجلة أمارباك، مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية العربية للعلوم والتكنولوجيا، العدد الثاني عشر، 2014م.